الفصل الأربعون

ذكر البِرَك التى تشبه البحار داخل مدينة القاهرة

- **بركة الأوزبكية:**

مما لا ريب فيه أنها أعظم بِرَك مدينة القاهرة، محيطها أرض تُقطع فى ساعتين، وعندما يفيض النيل تمتلئ بالماء وتموج كأنها اليَمّ. وكم من مئات القوارب التى تحمل الناس من دار إلى دار ومن قصر إلى قصر ويصيدون منها أنواع السمك، وكم فيها من قوارب تعرف (بقوارب أبى الخير) وهى قوارب كبيرة فى جوفها دكاكين بها كل ما يُشتهى من مطعوم ومشروب، وتمضى هذه القوارب من دار إلى دار ومن قصر إلى قصر لبيع المطعوم من البقل إلى الفجل. وحول بركة الأوزبكية هذه حدائق ذات مقاصير وقاعات وممرات ومقاعد ومعروشات، وفى هذه الحدائق قصور كقصر (الخورنق)، ومنازل ذات نقوش وكأنها نقوش الصين.

إنها بِركة عظيمة على جوانبها الأربعة جوامع حولها مروج، وكل من هذه الجوامع من خيرات ملك من ملوك السلف، يقصر اللسان والبيان عن مدحه، إنها جوامع تُكسب البِركة بهاء.

- **القصور الواقعة على ضفتى البِركة:**

وعلى ضفة هذه البركة قصر (رمضان أغا) أمين الأنبار[1] وهو أعظم القصور العالية، وقصر باقلاجى محمد بك أمير جدة، وقصر مصطفى أغا، وقبالته على الجانب الشرقى قصر قاسم بك قبودان[2] السويس، وقصر حسام زاده ومئات من القصور الأخرى، أما أعظم هذه القصور قصر سيدى الشيخ البكرى زاده عزيز محمد أفندى، وقد ورثه عن أجداده العظام.

إنه قصر عظيم كائن فى الركن الجنوبى للبركة ويتألف من ٣٦٠ حجرة مزدانة بالمقاصير والأحواض والشادروانات والقاعات المختلفة، وفيه بيوت أخرى للضيوف

(١) الأنبار: مخازن الغلال. ومنها أنبار يوسف عليه السلام، وهى مشهورة بجنوب القاهرة.

(٢) قبودان: قائد أسطول بحرى.

والمجاورين، وفيها من سكنها عام أو أكثر يتناولون طعامهم من السماط المحمدى، وتخلع عليهم ثياب طوال أول كل عام، فيدعون بالخير لأهل الخير.

ولسيدى العزيز ولدان عزيزان عليه: أحدهما أبو المواهب وهو صاحب كرم، وخير منه زين العابدين خفيف الظل، مضياف، رحيم، غزير العلم.

وعلاوة على قصور عزيز چلبى هذا له بيوت لكل منها حرم وتكية ذات حمام.

وينتسب أجداد العزيز چلبى إلى عمرو بن العاص وأبى بكر الصديق - رضى الله عنهما- فى عهد عمر بن الخطاب، ونار مطابخهم لا تنطفئ، ويقدمون الطعام صباح مساء للغنى والفقير والخاص والعام، وهم يفخرون بدوام اشتعال النار فى مطابخهم، وكم لهم فى مصر من أوقاف وضياع وأفدنة وأرزاق.

وشيوخ البكرية من أعيان القاهرة كذلك، وفى كل عام ليلة الاثنين من اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول يحتفل بالمولد بشكل يقصر عنه الوصف.

وفى تلك الأثناء يشتد الحر فيجف ماء البركة ستة أشهر وتصبح مرجا مخضوضراً. وفى أيام الاحتفال بالمولد يأتى شيوخ مائة وأربعين طريقة إلى ساحة هذه البركة ومعهم خيامهم التى يقيمونها مع من يصحبهم، ويقيمون خمسمائة أو ستمائة خيمة، وفيها يقرع الشيوخ والعلماء وعدة آلاف من الدراويش الدفوف ويقيمون حلقات الذكر ثلاثة أيام بلياليها.

ويعلق أصحاب البيوت على حافة البركة القناديل وعلى نوافذهم وجدرانهم حسب مقدرتهم، ويزين نظار الجوامع على حافة البركة مناثر وصفات الجوامع وكأن الرسول ﷺ ولد فى تلك الليلة، وفى تلك الليلة يعم النور القاهرة. يا لها من بركة عجيبة عظيمة.

- البركة الثانية: (بركة الفيل)

وهذه البركة أصغر فى الطول وأقل فى العمق من بركة الأوزبكية، بيد أن جوانبها الأربعة مزدحمة ولا موضع فيها لأرض خالية قدر ذراع وحولها منازل ذات نافورات وأحواض وحدائق، وجوها لطيف إلى حد جدٍّ بعيد. إنها بركة عظيمة تمتد من الجنوب إلى الشمال، وتجرى فيها القوارب تغدو وتروح، وليس بها منفذ، ويأتيها ماء النيل

مترسبا تحت الأرض من ناحية الباب الجديد. ولأصحاب البيوت المطلة على هذه البركة سفنهم وقواربهم الخاصة بهم، وينتقلون بهذه القوارب بين قصورهم. إنها موضع عظيم للشرفاء بحكم وقوعها فى منطقة مزدحمة فى مدينة القاهرة.

ومن أعظم القصور الواقعة على أطراف هذه البركة هو قصر سيد برهان الدين نقيب الأشراف الذى يتصل نسبه بالحسين من أهل هاشم، وهو شيخ علته الكبر والوهن، وكان بيته منذ تسعين عاما يبذل منه الطعام للغادى والرائح.

كما أن على حافة تلك البركة قصر (الخزينة دار المصاحب شاهين أحمد أغا)، وقصر معتق عباس أغا البنات، ودار شعبان أغا رئيس المتفرقة، وأفضل ديار الشيخ السادات، وقصر بكر أفندى كاتب الانكشارية، وقصر قانصو بك الذى كان قصر السلطان ( )[1] وهو قصر يعجز عنه الوصف، وقصر المصاحب صالح أغا، وقصر البلتاجى محمد خليفة، وقصر الداماى، وقصر سليمان أغا، وقصر مصطفى أفندى أفندى الانكشارية، وقصر المصاحب خليل أغا وقصر قيطاس بك، وقصر نذير أغا، وقصر أمير الحج، وقصر أبى المواهب أفضل أبناء الشيخ السادات، وقصر بوشناق محمد أغا، وقصر مصطفى أغا رئيس التوفنكية (أى حملة البنادق)، وقصر أحمد أغا چاووش رئيس الإنكشارية، وقصر سليمان بك، وقصر سليمان چاووش . . . ، وجملة القول أن على ضفة بركة الفيل سبعون قصرا لملوك السلف، ومائتا دار عظيمة.

وفى هذه البركة سفينة واحدة من النوع المعروف بـ (أبى الخير)، وهى تنتقل من قصر إلى قصر لبيع صنوف المأكولات والمشروبات.

سبب تسمية هذه البركة ببركة الفيل

أما سبب تسمية هذه البركة ببركة الفيل: أن أحد سحرة فرعون استعرض سحره فجعل هيئته على هيئة فيل، وأكل من عشب هذه البركة وشرب من مائها ولذلك سميت بركة الفيل، وفى رواية أخرى أنه عندما قدم الخليفة المأمون إلى مصر من بغداد، أحضر معه مائتى فيل وجعلها فى هذه البقعة لتبترد، ولذلك سميت بركة الفيل.

(١) بياض فى الأصل.

وبعض أصحاب القصور المطلة على هذه البركة حينما يحتفلون بمولود لهم، أو بمناسبة سعيدة يزينون قصورهم بالقناديل، ويزينون سفنهم وقواربهم بالأعلام، ويطلقون البنادق فتمتلئ السماء بما يشبه الشهب الهابط من السماء، وكم من قذائف (الفشنك) تسقط فى الماء وتغوص فى الماء وتطهى السمك.

وتبقى المياه فى هذه البركة عشرة أشهر بتمامها، وتحول الأراضى التى جفت منها إلى بساتين، ويزرعون فيها شماما، وبطيخا غاية فى لذة الطعم، إنها بركة وفيرة المحصول.

- البركة الثالثة: (بركة الرطل)

بركة مستديرة الشكل، يطاف حولها فى ساعة، ماؤها عذب فرات، وعلى الجانب الشمالى والغربى منها حدائق فقط، فى جانبها الجنوبى شوامخ القصور، منها قصر محمد چلبى الضريخانجى، وكأنه حديقة إرم، وله شادروانات عظيمة وسفينة، وقصر سيد أحمد الجيزى، وقصر حسن البكرى، وقصور أخرى، وجو هذه البركة لطيف إلى أبعد حد، وكثير من الناس يغدون ويرحون فيها بالقوارب، وهى على مقربة من بولاق.

البركة الرابعة: (بركة مصنع القرميد)

بركة على هيئة مربع، عذب ماؤها.

ـ البركة الخامسة: (بركة الغسال)

بركة عذبة الماء، يغسل فيها أمتعة المدينة، ولذلك تسمى بركة (الغسال)، وتمتد حتى الفيوم بمسيرة يوم وليلة، ويصاد السمك منها ويحمل فى زنابيل إلى القاهرة، ولا يستطيع إنسان أن يقترب من هذه الزنابيل لرائحتها الكريهة، وتحمل هذه الزنابيل على ظهور الحمير وتطرح على حافة البركة، وتغسل كل سمكة على حده فتنبعث من أذنها الدماء وكأنما عادت إلى الحياة.

وثمة سمكة لذة للآكلين، يتهافت عليها المصريون، ويسمونها سمكة يوسف، ومائدة يوسف، وحوت يوسف، إنها سمكة منقطة، وقد أكلت هذه السمكة فى الفيوم عملا بقولهم: «أكلت السمكة حتى رأسها»، ولكنها كانت قد غسلت فى بركة الغسال

وليس لها سهك (أى رائحة السمك الكريهة)، إنها سمكة لها رائحة السمك، ولأنها تغسل فى هذه البركة فهى كسمكة مائدة القدرة.

ولبركة الغسال هذه ميزة مشهورة فى الآفاق، فإذا نزلها مجذوم لأربعين يوما، وشرب من مائها أصبح جسمه كالدر السمين.

- البركة السادسة: (بركة الدباغين)

بركة مستديرة الشكل فى حى عابدين، يحيط بها منازل من ثلاثة طوابق أو أكثر، وعلى أحد جوانبها مدبغة عظيمة للدباغين، وماؤها عذب فرات ولذا فسمكها غاية فى لذة الطعم.

ويجرى فى هذه البركة قوارب خاصة مصنوعة من القرع، يركبها صيادو السمك لصيد السمك بشباكهم ثم يمنعونه فى سفافيد.

- ميزة:

ومن ميزات هذه البركة أنه إذا ما أصيب أحد باليرقان (أى الصفراء) وأصبحت عينه ووجهه وجسمه فى صفرة الكهرمان الصافى ونزل فى مياه هذه البركة ثلاثة أسابيع يوميا فى الصباح قبل الإفطار، وغاص فيها ثلاث مرات وخرج وشرب من مائها شفى وأصبح جسمه فى بياض الفضة الخالصة.

- البركة السابعة: (بركة قارون)

شقها قارون، وهى على شكل مخمس، وتحيط بها الحدائق من جميع الجهات.

- ميزتها:

ومن ميزاتها أنه إذا ما نزلها أحد المنحوسين أربعين يوما فارقه النحس، ودخل يده مال قارون. إنها بركة تجرى مياهها بالطلاسم، إلا أن ماءها أميل إلى الملوحة. وتستمد هذه البركة مياهها من النيل، إلا أنه مع ذلك ماء ملح.

- البركة الثامنة: (بركة الشواربى)

نشأت فى قديم العصور، وتنسب إلى أبى الشوارب وكان أميرًا مصريا شيد قصرا عاليا على ضفة هذه البركة، ولذلك سميت باسمه.

- ميزتها:

وهذه البركة إذا ما نزلـها مصروع وقت الظهيرة حين يشتـد الحر واغتسل وشرب من مائها برئ من الصرع بإذن الله. إنها بركة ذات طلاسم.

- البركة التاسعة: (بركة الحبش)

بركة مربعة الشكل على هيئة بحيرة، ماؤها عذب.

- ميزتها:

إذا ما نزلت هذه البركة امرأة حائض، برأت من النـفاس، والكثرة الكاثرة من البغايا المقيدات فى سجل الصـوباشى ينزلن فيها، وتلك حكمة عجيـبة، وقد سألتُ عدةَ نساء عن ذلك فقلن لى تحقق من ذلك.

- البركة العاشرة: (بركة بيبرس)

بركة صغيرة شمال مدينة القاهرة بالقرب من جامع السلطان بيبرس.

- ميزتها:

وهذه البركة إذا ما غسلوا فيها الخضروات مثل: السبانخ والطماطم والملوخية والبامية والفجل، نضرت وأصبحت طازجة وكأنما قلـعت لتوها من الأرض، وتذبل بعد يومين أو أكثر. إن تأثيرها لعجيب.

- البركة الحادية عشرة: (بركة الكبش)

بركة مثلثة الشكل، أسفل قلعة الكبش.

- ميزتها:

فى عصر الكهنة كانت تجرى فى هذه البركة قوارب نحتت من صخر، وكانت هذه القوارب تتسع لركوب أربعة أشخاص فيهـا، وتغدو وتروح هذه القوارب إلى النيل عبر هذه البركة، وهذه القوارب الآن تحت أحد العقود بجانب قلعة الكبش.

- البركة الثانية عشرة: (بركة عين شمس)

ليس بها ضفدعة، ولا ثعبان، ولا حية.

- البركة الثالثة عشرة: (بركة الحج)

إنها بركة مطلسمة إلى الآن.

- ميزتها:

ومن ميزات هذه البركة أنه إذا حملت قربة ماء من هذه البركة إلى الحج لا يتغير طعم مائها حتى ولو احتفظوا به فى جرة مدة عام.

وهى من المطلسمات القديمة، وفى موضعها مسلة من حجر، وعلى الجوانب الأربعة لهذه المسلة صور متنوعة غريبة ونقوش عجيبة، إلا أن على هذا العمود من أسفله إلى أعلاه خط إدريسى يقرأه القبط، ولا يقرأه أحد سواهم، ومعنى رموز هذا الخط هو: «انظر إلى وجهى واحفر قاعى، فحيث يكون العقل يكون المال !»، وقد هلك كثير ممن حاولوا سرقة هذه المسلة، وفى النهاية تفجر الماء من قاع هذه المسلة وتكونت بحيرة تبقى ستة أشهر فى العام، وتجف ستة أشهر أخرى، والباحثون عن الكنوز من المغاربة يحضرون إليها ويحفرون أرضها بحثا عن المال إلى الآن.

إجمالى عدد البرك فى مدينة القاهرة

إنها جميعا ١٧ بركة لكل منها ميزة تميزها عن الأخرى، وقد حفر كل منها، فى الزمان، مهندس بارع، وجعل فى كل منها طلسما. وتأثير هذه الطلاسم دائم إلى الآن.

وهذه البرك التى تقع داخل القاهرة لها عظيم أهميتها، لأن ماءها الطاهر يرد على المصريين أرواحهم، ويلطف من جو المدينة.

***